السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي وكتاباته باللغة العربية في السيرة النبوية

آفتاب أحمد [1]

الملخص

تحتل السيرة النبوية مكانا بارزا في ثقافة الإسلام والمسلمين في كل أنحاء العالم، نعرف جيدا أن السيرة تُطلق في اللغة على السنّة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، سواء أكانت حسنة أم سيئة، ولكن في الاصطلاح: هي ما نقل إلينا من حياة النبي منذ ولادته قبل البعثة وبعدها وما رافقها من أحداث ووقائع حتى لحاقه بالرفيق الأعلى. والسيرة النبوية تعد البداية الأولى لتاريخ الأمة المسلمة، الذي بدأ مع بداية الإسلام.

استقبل الهنود الإسلام حين دخل الهند بحفاوة وترحاب. وكان من الطبيعي أن يتأثر الشعب الهندي بهذا الدين الجديد. ولقد أقبل المسلمون إقبالا عظيما على الإسلام وأظهروا حبا عميقا منقطع النظير مع رسول الإسلام، وصنفوا عددا هائلا من الكتب في السيرة النبوية في مختلف اللغات الهندية وخاصة الأردية والعربية. وتشير الشواهد التاريخية إلى أن الكتابة في السيرة النبوية بدأت في الهند مبكرا في القرن الثامن الميلادي، حينما كتب الفقيه نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني (المتوفى787) في المغازي. وبعد ذلك، جاء الهنود بعدد لا بأس به من التصانيف المهمة في هذا الفن، وشهدت الكتابة العربية في السيرة النبوية نهضة جديدة في القرن السابع عشر الميلادي مع صدور عدد من الكتب المهمة. وفي القرن العشرين، يرجع الفضل إلى العلامة الندوي في جعل فن السيرة النبوية محور اهتمام العلماء المسلمين حيث صنف كتبا مهمة في السيرة النبوية باللغتين العربية والأردية. لم يكتف

❖ مسؤل البرامج، المركز الثقافي العربي الهندي، الجامعة الملية الإسلامية، نيودهلي

العلماء الهنود بالكتابة في السيرة النبوية فحسب بل قاموا أيضا بترجمة أمهات الكتب العربية في السيرة النبوية إلى اللغات الهندية.

يعد العلامة السيد أبوالحسن علي الندوي من أهم العلماء والدعاة الذين أنجبتهم الهند في القرن العشرين، ومن أبرز رواد الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية. لقد أولى عناية خاصة بالسيرة النبوية الشريفة قرأة وكتابة منذ طفولته. وكان العلامة الندوي من أولئك المؤلفين المعدودين الذين اختاروا طريقة الوسط مع جمع حسنات السلف والخلف وأفادوا من الكتب القديمة والحديثة في كتابة السيرة النبوية. فإن مؤلفاته مثل "السيرة النبوية" والطريق إلى المدينة" و"سلسلة من القصص النبيين" خير دليل على حبه العميق للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وسعيه المخلص لتبليغ الرسالة المحمدية إلى البشرية جمعاء. هذا البحث الوجيز عبارة عن محاولة متواضعة لإبراز اهتمام العلامة الندوي بالسيرة النبوية مع بيان خلفية موجزة لبداية كتابة السيرة النبوية في الهند.

الكلمات الرئيسية: الاسلام، المسلمون، السيرة النبوية، السيد أبوالحسن علي الندوي، الكتابة العربية، الهند، الطريق إلى المدينة، قصص النبيين.

المدخل:

كُلما نتحدث عن السيرة النبوية فإن أول ما يتطرق إلى أذهاننا الباحثين في العلاقات الهندية العربية، حكاية تاريخية تعود إلى القرن السابع أو الثامن الميلادي، حينما وصلت رسالة الإسلام إلى الهند وبالتحديد إلى ساحل مليبار في كيرالا. وهي قصة رحلة الملك الأخير من سلالة تشيرا الهندية، شيرمان بيرومال (Cheraman Perumal) إلى مكة المكرمة لزيارة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم التي حظيت بشعبية كبيرة في جنوب الهند، كما يفيدنا السيد شاهجهان مادمبات في إحدى مقالاته: "اعتنق شيرمان بيرومال -أحد ملوك جنوبي الهند – الإسلام قبل وفاة النبي، وسافر إلى مكة المكرمة للقائه. وتفيد الأسطورة بأنه توفي لدى رجوعه من مكة في مدينة صلالة العُمانية. وما زال ضريحه موجودا حتى يومنا هذا في زاوية مهمشة في صلالة، وقد قمت بزيارة ضريحه هناك. ربما يكون من الصعب إثبات هذه القصة بأدلة تاريخية، ولكن تواتر ذكر هذا الملك في كل

الوثائق التاريخية والشعبية في ولاية كيرلا، تشير إلى أن التواصل بين الشعبين العربي والهندي كان راسخاً منذ القدم".[1]

ويرجع تاريخ وصول المسلمين إلى الهند عموما إلى الفتح العربي للسند ولكن قبل فترة طويلة كانت المستوطنات العربية موجودة على ساحل الجنوب الغربي من الهند. ومع ذلك، تختلف الآراء حول ظهور الإسلام في الهند، ثمة رائ يؤكد وجود العرب في منطقة السند قبل الغزوالعربي لها. وعلى الرغم من قلة عددهم فإن وجودهم كان ملحوظا. غزا الجيش العربي بقيادة محمد بن قاسم السند في عام 710م بناء على أمر الحجاج وهزم مكران وقبض على بلوشستان، وأخيرا فتح السند عام 711م. وأدى هذا الفتح إلى احتلال دائم للسند والبنجاب الجنوبية، ولكن بقيت المناطق الأخرى من الهند (بعيدة) عن أثر الحجاج حتى نهاية القرن العاشر عندما بدأ غزوجديد تحت محمود الغزنوي.[2]

تبدأ العلاقات الثقافية المباشرة بين العرب والهنود بعد ظهور الإسلام وتحديدا مع تأسيس الخلافة العباسية في منتصف القرن الثامن الميلادي. وكانت هذه الفترة بداية لتاريخ طويل من التواصل الثقافي والعلمي الذي استمر عدة قرون. وكانت عملية التبادل الثقافي متبادلة، وتم تعميم ونشر أكبر قدر ممكن من المعرفة في مجال العلوم والفنون والدين والفلسفة والأفكار والقيم الاجتماعية والثقافية. وقد ترجمت الكتب الهندية إلى اللغة العربية في مواضيع مختلفة تتراوح بين الطب والرياضية وعلم الفلك في بيت الحكمة تحت رعاية الخلفاء العباسيين بوجه عام، وتحت رعاية الخليفة هارون الرشيد بوجه خاص. لازال هذا الارتباط الثقافي والعلمي بين الهند والدول الإسلامية–العربية قائما بل بات مزدهرا حتى الآن تحت مظلة العلاقات السياسية والثقافية بين القطرين.

---

[1]. شاهجهان مادمبات، حركة ترجمة الأدب العربي إلى القراء في الهند، مجلة العربي الكويتية، العدد 86، أكتوبر 2011

http://www.alarabimag.net/Book/Article.asp?ART=190&ID=7

[2] Philip K Hitti, History of the Arabs, Palgrave Macmillan, New York, 2002, p 210-212

ولا بد من تأكيد أن هذا البحث لا يهدف إلى تقييم شخصية العلامة الندوي ومساهماته العلمية والأدبية والفكرية أو عرض تاريخ لكتابة السيرة النبوية في الهند، وإنما هي محاولة لعرض اهتمام العلامة الندوي بالسيرة النبوية وكتاباته العربية بهذا الصدد مع بيان خلفية موجزة لبداية كتابة السيرة النبوية في الهند.

السيرة النبوية في الهند

وتحتل السيرة النبوية مكانا بارزا في ثقافة الإسلام والمسلمين في كل أنحاء العالم، لأنها من الأساسيات التي يجب الإلمام بها من أجل فهم المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية، فضلا عن الإلمام بطبيعة الظروف والإرهاصات التي سبقتها وعوامل نشأتها، وإن لهذه الأمور دورا ملموسا في تكوين شخصية النبي من مولده إلى لحاقه بالرفيق الأعلى واكتساب هذه الشخصية صفة القداسة والاحترام المطلق عند المسلمين. والذين ألَّفوا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من عهد الرسالة إلى يومنا هذا في شتى البقاع الإسلامية وغير الإسلامية في معظم لغات العالم، يعدُّون بالألوف، ولا يزالون مكبين على التأليف فيها.

والجدير بالذكر أن الهنود رحبوا بالإسلام ترحيبا حارا حينما وصل إلى الهند مع كون الهند مهدا للغات والثقافات والفلسفات القديمة، وكان من الطبيعي أن يتأثر الشعب الهندي بهذا الدين الجديد لما فيه من القيم الإنسانية النبيلة وعلى رأسها المساواة والعدالة والثورة على عبودية العبد، ولذا أقبل الهنود إقبالا عظيما على الإسلام وسرعان ما أصبح الإسلام إحدى الديانات الرئيسة في الهند، ثم أقبل المسلمون إقبالا عظيما على تعلّم اللغة العربية من منطلق الضرورة الدينية؛ أي من أجل تعلم مبادئ الدين وأحكامه، وقاموا بإنشاء المدارس والمكاتب الإسلامية لفهم مبادئ الإسلام، وشرعوا على التأليف في مختلف الموضوعات الدينية بما فيها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونظرا لأهمية الرسول صلى الله عليه وسلم في حياة المسلمين وحبهم له، يمكن لي أن أقول إن الهنود وخاصة المحبين له بأعماق قلوبهم قد صنفوا ودونوا عددا كبيرا من الكتب في السيرة النبوية في مختلف اللغات الهندية وخاصة الأردية والعربية. لقد باتت اللغة الأردية من أهم اللغات الهندية التي

يتحدث بها المسلمون في شبه القارة الهندية وثانية كبرى اللغات الهندية احتواء لمؤلفات السيرة النبوية ولانبالغ إذا قلنا إنها تلي اللغة العربية على مستوى العالم من ناحية كمية المؤلفات في السيرة النبوية.

وقد قدم الهنود مساهمات عظيمة وجليلة على امتداد تاريخ الهند في مختلف المجالات الدينية والفنية والثقافية والاجتماعية والسياسية، ونقلوا العلوم والثقافة العربية إلى اللغات الهندية، وأثروا الأدب والعلوم العربية بترجمة أهم المصادر الهندية في اللغة العربية. وسأحاول من خلال هذه المقالة إلقاء الضوء على مساهمة السيد العلامة الندوي في السيرة النبوية ومؤلفاته باللغة العربية. وقبل أن أخوض في موضوع دراستي أريد أن أقدم تاريخا موجزا لكتابة السيرة النبوية باللغة الأردية التي تحظى بشعبية كبيرة بين مسلمي الهند.

لقد ازدهرت الكتابة في السيرة النبوية باللغة الأردية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبلغ التأليف في السيرة النبيوة بهذه اللغة عصره الذهبي في القرن العشرين الميلادي، ويمكننا القول بأن علماء الهند فاقوا في خدماتهم وإسهاماتهم في السيرة النبوية على غيرهم من علماء الأقاليم الأخرى في تلك الفترة. وفي النصف الأول من القرن العشرين، ظهر كتابان مهمان في السيرة النبوية. أولهما *"رحمة للعالمين"* للقاضي محمد سليمان المنصوربوري[1]، وثانيهما *"سيرة النبي"* للعلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي[2].

---

[1]. وكتابه "رحمة للعالمين" في ثلاثة مجلدات هو من اهم الكتب في السيرة النبوية، أصبح أساسا للكتابات الأخرى في هذا الموضوع، طبع المجلد الأول عام 1912م والثاني عام 1921م. وفي هذا الكتاب، إنه رد الشكوك والاعتراضات التي أثارها الهندوس والمسيحيون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

[2]. كتاب "سيرة النبي"، يشتمل على سبعة مجلدات، وتحتوي المجلدات على 4286 صفحة تقريبا. وهذا الكتاب باللغة الأردية من أهم ما ألفه العلماء الهنود في السيرة، ويعتبر موسوعة للسيرة النبوية من جميع نواحيه وحظي بالشهرة العالمية عجما وعربا. وقد ألف العلامة شبلي النعماني المجلدين الأولين من هذا الكتاب، وأكمل المجلدات الأخرى تلميذه الرشيد السيد سليمان الندوي.

ومن المؤلفات المهمة المنشورة في الهند باللغة الأردية في النصف الثاني من القرن العشرين كتابان آخران تجدر الإشارة إليهما خاصة بهذه المناسبة لأنهما نجحا في لفت أنظار العلماء والمثقفين بسبب محتواهما ومكانة كاتبهما في الأوساط العلمية والدينية. أولهما "*سيرت سرور عالم*" لأبي العلاء المودودي (1979م-1903م)[1]، وثانيهما "*بيغمبر انقلاب*" لوحيد الدين خان (و1925م). ويحتل العلامة خان مكانا مرموقا بين الجيل الجديد من هذا العصر بسبب أفكاره الدينية والسياسية وكتاباته حول القضايا المعاصرة المتعلقة بالإسلام والمسلمين. ومن هنا تبدأ مرحلة استمرار في تدوين الكتب في السيرة النبوية باللغة الأردية لأن هذه اللغة في الهند يمكن لنا أن نقول قد صارت لغة المسلمين عامة والمهتمين بالأمور الدينية خاصة. وقد كتب عدد كبير من العلماء الهنود حول جوانب مختلفة من حياة محمد صلى الله عليه وسلم. ويبلغ عدد مثل هذه الكتب حوالي مئتي كتاب في اللغة الأردية فقط.

كتابة السيرة النبوية العربية في الهند

وأما بالنسبة للمؤلفات العربية في السيرة النبوية، فللعلماء الهنود في هذا المجال إسهام قيم أيضا، فقد جاؤوا بمؤلفات مهمة، ولكن عددها قليل مقارنةً بالكتب الأردية في السيرة النبوية ولعلَّ أسباب ذلك تعود إلى عدم إحساسهم بضرورة التأليف بالعربية؛ لكثرة المؤلفات الموجودة في السيرة بالعربية، وإنما صرفوا جهدهم في تحقيق كتب التراث، وطباعة أمهات الكتب في الحديث، والتفسير، والفقه، وحملوا راية خدمة الحديث وعلومه برهة من الزمن، وبلغ العصر الذهبي لهم في القرنين الماضيين؛ القرن الثالث عشر، والقرن الرابع عشر الهجريين". [2]

[1]. هذا الكتاب يشتمل على المجلدين في 1528 صفحة. هذا الكتاب يحتوي على المقالات التي كتبه المودودي وجمعها ورتبها نعيم الصديقي ومولانا عبد الوكيل العلوي.

[2]. عبد الأحد بن عبد القدوس نذير، جهود علماء شبه القارة الهندية في خدمة السيرة النبوية (حصلت المقالة من موقع البشير الالكتروني، (2014/08/11)
http://albashir.sd/details.php?lang=ar&articleid=2402

وتشير الشواهد التاريخية إلى أن الكتابة العربية في السيرة النبوية بدأت في شبه القارة الهندية مبكراً حيث اشتهر الفقيه نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني. لقد كان إماما في الحديث والسير، نزل بالمدينة وأقام بها وألقى الدروس حول السيرة النبوية فيها وفي مدينة بغداد والمدن الإسلامية الأخرى.[1] وتوفى سنة 787م، وصلى عليه هارون الرشيد في السنة التي استخلف فيها، ودفن في المقبرة الكبيرة ببغداد. وهوأو ل من ألف من أهل الهند في المغازي، ذكره ابن النديم في "فهرسته".[2] إن الوثائق التاريخية لا تفيدنا كثيرا بوجود الكتب الأخرى بهذا الصدد بعد كتاب نجيح بن عبد الرحمن السندي إلا مؤلفات الشيخ حسن بن محمد الصغاني (1252م-1162م) الذي ألف كتبا عديدة في السيرة النبوية مثل *"مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية"، و"مصباح الدجى في حديث المصطفى"*.[3] نظم الشعراء الهنود أيضا قصائد مطولة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهي وإن كانت جارية على النمط التقليدي في المديح النبوي إلا أنها لاتخلوعن الروعة الفنية لما فيها من تعبير صادق عن مشاعر الحب العميق والعشق للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم جميعا وهي تمثل ثروة قيمة في فن السيرة النبوية العطرة. وقصيدة *"شمائل الأتقياء"* للشيخ ركن الدين الكاشاني، وقصيدة مشهورة للقاضي عبد المقتدر الكندي (1388م-1303م) تعتبر من أشهر القصائد.[4] في هذا الموضوع.

وفي القرن السابع عشر الميلادي، شهدت الكتابة العربية في السيرة نهضة جديدة مع صدور عدد من الكتب في السيرة النبوية، حيث ألف الشيخ محي الدين بن عبد القادر العيدروس الأحمد آبادي المتوفى سنة 1629م، أربعة كتب في السيرة وهي: *"الحدائق الخضرة*

---

[1]. أحمد أمين، ضحى الإسلام، المجلد الأول، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1995، ص 233

[2]. السيد عبد الحيئ الحسني الندوي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر)، الجزء الأول، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1999، ص 50

[3]. السيد عبد الحي الحسني الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، المجمع العلمي العربي، دمشق،1957، ص 90

[4]. السيد عبد الحي الحسني الندوي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر)، الجزء االثاني، مطبع دارالمعارف العثمانية، حيدرآباد،1957، ص 46،45 و76

في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة" ، و*"إتحاف الحضرة العزيزة لعيون السيرة الوجيزة"* ، و*"المنتخب المصطفى من أخبار المولد المصطفى"* ، و*"المنهاج إلى معرفة المعراج"* . وتمتاز هذه الكتب بالوضوح والسلالة والاختصار، وتخلو إلى حد كبير عن الشوائب والأباطيل التي تسربت إلى كتب الصوفية. ولا نجد مؤلفات كثيرة بالعربية في السيرة النبوية في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك لسبب هيمنة اللغة الفارسية والأردية في هذا القرن، ولكن بعض القصائد والرسائل موجود عندنا. وبحلول القرن العشرين ظهرت مؤلفات كثيرة في السيرة النبوية مثل *"الكلمة العنبرية في مدح خير البرية"* لنواب صديق حسن خان (1890م-1832م) أمير بهوبال، و*"سيرة الرسول"* للمولوي أبي بكر محمد الجونفوري (1940م) وغيرهم.[1] ومن المعلوم "أن المولانا جان محمد اللاهوري كان أول من نقل العلوم الدينية من العربية إلى اللغة الهندية. وأما مؤلفاته بالعربية فمنها: *"تنوير البصر والبصير في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم البشير النذير"* ومنها *"النفخة العنبرية في مدح خير البرية"* ، وديوان شعر له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها *"العشرة الكاملة"* فيها عشر قصائد على منوال المعلقات السبع. وله رسائل بليغة جمعها في " شمائم الشمائل في نظام الرسائل".[2]

كما تشتمل المؤلفات الهامة الأخرى على *"مدارج النبوة"* ، و*"جذب القلوب في ديار المحبوب"* للشيخ عبد الحق محدث الدهلوي (1642م-1551م)، و*"سرور المخزون"* للعلامة شاه ولى الله الدهلوي (1762م-1703م)، و*"تاريخ بدء الإسلام"* للعلامة شبلي النعماني (1914م-1857م)، و*"قصص النبيين (الجزء الخامس)"* للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي(1999م-1914م)، و*"في ظلال السيرة"* للشيخ السيد محمد رابع الحسني الندوي (م1929)، و*"مختصر شمائل النبوة"* للشيخ السيد محمد واضح رشيد

---

1. الدكتورنسيم أحمد، الكتابات العربية في السيرة النبوية في الهند، مجلة ثقافة الهند، المجلد 65، العدد1، 2014، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، ص102-107

2. السيد عبد الحئ الحسني الندوي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (نزهة الخواطر)، الجزء السابع، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1999، ص 932

الندوي، وغيرهم، وآخرا وليس أخيرا كتاب *"الرحيق المختوم"* للعلامة صفي الرحمن المباركفوري (م2006-1943م).

العلامة الندوي واهتمامه بالسيرة النبوية

يعد العلامة السيد أبوالحسن علي الندوي (1999م-1914م) من كبار العلماء والدعاة الذين أنجبتهم الهند في القرن العشرين، ومن أبرز الكتاب والأدباء والمفكرين الهنود، ومن أهم رواد الأدب الإسلامي في الهند في هذا العصر. ولد في أسرة كريمة مثقفة وترعرع في بيئة إسلامية خالصة، وهوينتسب إلى الأسرة التي أنجبت الأدباء والشعراء ورجال الدعوة الكبار.[1] وكانت أسرته أسرة عربية الأصل وعريقة ذات فضل وعلم، ترجع جذورها إلى سيدنا الحسن بن علي بن ابي طالب- رضي الله عنه-، فاشتهرت بالأسرة الحسنية. وهي لاتزال تحافظ على أنسابها وبأصلها العربي، وإن كانت تعيش في الهند منذ قرون، وتمتاز بتمسكها بالشريعة الإسلامية، وبذل الجهد في نشر العلم وخدمة الإسلام والعمل لخير المسلمين[2].

بدأ الشيخ الندوي نشاطاته وأعماله في مجال الكتابة والتأليف في وقت مبكر من عمره، ونشر أول كتاب له باللغة الأردية باسم *"سيرة السيد أحمد الشهيد"* في بداية عام 1939م . كما ألف كتبا منهجية أخرى باللغة العربية لطلبة المدارس العربية بالهند، منها كتاب *"مختارات في الأدب العربي"*، وقرر تدريسه في دار العلوم وبعض الجامعات، وكتاب *"قصص النبيين للأطفال"*، وسلسلة أخرى للأطفال باسم *"القراءة الراشدة"*، و*"سيرة خاتم*

---

[1]. أنجبت هذه الأسرة العلماء الكبار مثل المصلح الديني والداعية الإسلامي الكبير، الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (1830م-1786م) الذي لعب دوراً هاماً في نهضة الإسلام والمسلمين، وقاد حركة دعوية وإصلاحية هامة في تاريخ الهند، والعلامة السيد عبد الحئ الحسني (1923م-1869م) صاحب كتاب "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام" المسمى ب "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" في ثمانية مجلدات في سير علماء الهند وأعيانها.

[2].شاكر عالم شوق، السيد أبوالحسن الندوي ومساهماته في أدب السيرة، مجلة القسم العربي، العدد العشرون،2013، ص52
http://pu.edu.pk/images/journal/arabic/PDF/4-%20Shakir%20Final27.2.13_20_2013.pdf

النبيين" . وبدأ في تأليف كتابه المشهور *"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"* عام 1944 م وأكمله عام1947 . وصنف كتاباً حول القاديانية بعنوان *"القادياني والقاديانية"* عام 1985م، وألف كتابه *"الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية في الاقطار الإسلامية"* عام 1965 م، وكتابه *"الأركان الأربعة"* عام 1967 م. وهكذا ألف الشيخ الندوي كثيراً من الكتب باللغة العربية والأردية. وقد ألف السيد محمد طارق زبير الندوي كتابا بعنوان "مؤلفات سماحة الداعية الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي بالعربية، ذكر فيه أن مؤلفات الشيخ الندوي باللغة العربية قد بلغت مئة وستة وثمانين كتاباً.[1]

ركز الإمام الندوي اهتمامه الخاص على السيرة النبوية الشريفة، حيث درس وقرأ رسائل صغيرة في السيرة النبوية منذ نعومة أظفاره، وعقد جلسات لدراسة السير النبوية مع أترابه وهوفي الثامنة من عمره. الأمر الذي شكل عنصرا أساسيا في ثقافته وحياته، وقد تأثر بأحداث السيرة، وتجاوب مع مواقفها وشخصياتها، وتذوق حلاوة الإيمان في رحابها. ولا يعني فقه السيرة ودراستها لدى الشيخ الندوي مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية، ولا سرد الأحداث، بل يهدف من خلالها إلى إبراز أن الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته – صلى الله عليه وسلم–، وإن دراسة السيرة ليست سوى عمل تطبيقي لها. ونجد أجزاء كثيرة من السيرة النبوية في ثنايا عدد من مؤلفاته ومحاضراته وخطاباته ومقالاته،كما قام بتأليف كتب مستقلة في السيرة النبوية، مثل السيرة النبوية وسيرة خاتم النبيين والطريق إلى المدينة وغيرها.[2]

وبلغ ولعه بقراءة كتب السيرة النبوية في صغره إلى حد أنه أرسل طلبا لشراء كتاب "رحمة للعالمين" للشيخ محمد سليمان المنصوربوري وعلى رغم زهادة الثمن لم تكن أمه تستطيع أن تدفع ثمن ذلك الكتاب فاضطرت إلى اقتراض مبلغ لدفع ثمن الكتاب. ويقول الدكتور أيوب تاج الدين الندوي نقلا عن مقدمة كتاب *"السيرة النبوية"* للعلامة الندوي:"....فقد كانت السيرة النبوية–على صاحبها الصلاة والسلام– المدرسة الأولى التي

---

1. المصدر السابق، ص59

2. المصدر السابق، ص71

تعلم فيها مؤلف هذا الكتاب، وقد دخلها في سن مبكرة، لا يدخل فيها الأطفال في عامة الأحوال، والفضل في ذلك يرجع إلى الجو الذي يسود في بيته وأسرته، فقد كانت السيرة تكون عنصرا أساسيا في الثقافة التي يتلقاها أبناء الأسرة وأطفال البيت، والمكتبة الصغيرة البسيطة المؤلفة من منظور ومنثور، التي كانت تنقل من يد إلى يد، ثم إلى تربية أخيه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني وتوجيهه الحكيم، فقرأ في صباه أفضل ما كتب في السيرة النبوية في "أردو" لغة مسلمي الهند، وهي أغنى لغات العالم الإسلامي بعد اللغة العربية في موضوع السيرة، وهي تحتوي على أقوى وأجمل ما كتب فيها في العصر الأخير".[1]

أهم كتابات العلامة الندوي بالعربية في موضوع السيرة النبوية

"السيرة النبوية"

كتاب قيم، ألفه السيد أبوالحسن علي الندوي في أسلوب عصري راق فنال الكتاب قبولا واسعا وتقديرا عاليا من أهل العلم. يحتوي الكتاب على 539 صفحة ويتناول كل زوايا وجوانب السيرة النبوية بدءا من ذكر العرب وحياتهم الاجتماعية في الجاهلية، ونسب النبي وأسرته، وحياة النبوة والرسالة والدعوة، وهجرة النبي والعهد النبوي والغزوات ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله وفضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنحها العالمية الخالدة. ويمتاز الكتاب بسهولة العرض وتتابع الأحداث التاريخية واتصالها ومراعاة الزمن في سردها. وقد طبع الكتاب عام 1977م، ثم توالت بعدها الطبعات وترجم إلى اللغة الأردية والإنجليزية وغيرها من اللغات.

وكان العلامة الندوي من أولئك المؤلفين المعدودين الذين اختاروا طريقة الوسط مع جمع حسنات السلف والخلف وأفادوا من الكتب القديمة والحديثة في كتابة السيرة النبوية. لقد كان يتطلع لتأليف كتاب في السيرة للجيل الجديد المعاصر بأسلوب علمي شيق، كما

---

[1]. الدكتورمحمد أيوب تاج الدين الندوي، أبوالحسن علي الحسني الندوي وأسلوبه في "السيرة النبوية"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 61، العدد 3، 2010، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، ص 6

يشير العلامة الندوي نفسه في مقدمة كتابه *"السيرة النبوية"* ، فهويقول: "يشعر بمسيس الحاجة إلى كتاب كتب بأسلوب عصري علمي، استفيد فيه من خير ما كتب في القديم والحديث، مؤسسا على مصادرالسيرة الأولى الأصلية، مطابقا لما جاء في القرآن والسنة الصحيحة، لم يكتب في الأسلوب الموسوعي الحاشد للمعلومات في غير نقد وتمحيص، الأسلوب الذي اعتاده أكثر المؤلفين المتوسطين والمتأخرين، وقليل من المؤلفين المتقدمين، والذي كان مثار كثير من التساؤلات التي برأ الله السيرة الكريمة منها، وأغنى المسلمين عنها".[1]

وهذا الكتاب *"السيرة النبوية"* كان أحب الكتب لدى العلامة الندوي، ألفه بكل حب وشوق، وعاطفة وإخلاص. مع أنه ألف كثيرا من الكتب المهمة في شتى المجالات ولكن الكتب في موضوع السيرة النبوية كانت أحب إليه، كما ذكر لنا الأستاذ محمد اجتباء الندوي رحمه الله قصته مع الشيخ في هذا المجال، فيقول: سألت سماحة الشيخ رحمه الله قبل وفاته بأربعة وعشرين يوما وكان إذ ذاك في حرم ندوة العلماء (لكهنؤ) الهند، أي مؤلفاتكم أحب إلى جنابكم؟ فقال: السيرة النبوية، والنبوة والأنبياء والطريق إلى المدينة والأركان الأربعة وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.[2]

وهذا الكتاب بيان دقيق لمختلف جوانب حياة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم بدءا من الحياة الاجتماعية والسياسية في المنطقة العربية قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما يقول المصنف نفسه في تقديم الكتاب، فهو يقول:"لا يسع المؤلف في السيرة صرف النظر عن البيئة التي كان فيها وجودها وقيامها، وعن العصر الذي كان فيه طلوعها وبزوغها، فلا بد من وصف الجاهلية العالمية الضاربة كلها في القرن السادس المسيحي، ومدى ما وصل إليه هذا العصر من الفساد والانحطاط، والقلق والإضطرابات، ووصف حالته الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما تضافر عليه من عوامل

---

[1]. مقدمة الكتاب للطبعة الاولى، "السيرة النبوية" الطبعة الثامنة، دار الشروق جدة، 1989، ص 10-11

[2]. الدكتورمحمد أيوب تاج الدين الندوي، أبوالحسن علي الحسني الندوي وأسلوبه في "السيرة النبوية"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 61، العدد 3، 2010، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، ص9

الإفساد والإضلال والتدمير والإبادة من حكومات جائرة وأديان محرفة وفلسفات متطرفة وحركات هدامة".[1] ويضيف العلامة الندوي قائلا: "ولم يقتصر المؤلف على عرض الوقائع والأخبار ومجرد التاريخ والتوقيت كقائمة معلومات رتيبة خشبية، بل عني كذلك بإستنتاج نتائج عميقة المعنى بعيدة المدى، ذات قيمة في دراسة سير الأنبياء ودعواتهم، لا سيما سيرة سيدهم وخاتمهم صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته، وفي النفسيات البشرية، وعلم الإجتماع والأخلاق، وهي من وحي السيرة ومن حقوقها وواجباتها على الدارس المؤمن والمعني بتربية الأجيال المسلمة، وتوجيه المربيين والدعاة والمؤلفين والباحثين في موضوع السيرة".[2]

وركز المؤلف على عرض وقائع السيرة النبوية بلغة سهلة واضحة وبأسلوب مؤثر رشيق وترتيب زمني، كما يثني الدكتورمحمد أيوب تاج الدين الندوي على أسلوبه في الكتاب "وبعد أن قرأت منه بعض الصفحات شدني أسلوبه الأدبي الرائع وطريقة عرضه لحلقات السيرة الشريفة، فقد كان الأسلوب بين عمق الفكرة وجمال التعبير، وقد بدا واضحا لي أن الشيخ حريص على تقديم السيرة النبوية بأسلوب أدبي شائق يحقق الإقناع والإمتاع في آن واحد، ذلك لاقتناعه التام بضرورة التجديد في أساليب الخطاب تلبية لحاجات الناس وأذواقهم في هذا العصر".[3] وهويضيف "إن أسلوب الشيخ أبوالحسن الندوي أسلوب قوي متين، جزل الألفاظ، سلس العبارات، عميق الأفكار، رائع المعاني، بارع الحكم، فهويمتع النفس بقدر ما يمتع العقل، إذ تتوافر فيه العناية بإجادة اللفظ وإجادة المعنى وتحسين العبارة وتحسين الفكر، لا يجهدك فهمه، كما لا يملك سماعه، تحس وأنت تقرأه، كأن المعاني تنساب إلى نفسك، والحكم تتدفق في خاطرك، محمولة في إطار رشيق من الألفاظ العذبة القوية، السلسة الجزلة والصورة الجميلة الدقيقة".[4]

---

[1]. مقدمة الكتاب للطبعة الأولى،"السيرة النبوية" الطبعة الثامنة، دار الشروق جدة، 1989، ص 12

[2]. مقدمة الكتاب للطبعة الأولى،"السيرة النبوية" الطبعة الثامنة، دار الشروق جدة، 1989، ص 6

[3]. الدكتورمحمد أيوب تاج الدين الندوي، أبوالحسن علي الحسني الندوي وأسلوبه في "السيرة النبوية"، مجلة ثقافة الهند، المجلد 61، العدد 3، 2010، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، ص 2

[4]. المصدر السابق، ص13

"الطريق إلى المدينة"

هذا كتاب آخر للعلامة الندوي الذي سجل فيه انطباعاته القلبية ومشاعره الإيمانية وحبه العميق للرسول العربي صلى الله عليه وسلم بأسلوب أدبي أنيق باسم *"الطريق إلى المدينة"* . و يشتمل الكتاب على مجموعة من المحاضرات والمقالات، طبع أولا عام 1965م من دارالقلم في بيروت، وقد تكررت طبعاته في الهند والبلاد العربية. وأصبح جزءا هاما من مناهج المدارس الهندية. وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة بين مسلمي شبه القارة الهندية وتمت ترجمته في اللغات العديدة بما فيها اللغة الأردية والتركية والإنجليزية.

حينما طُلِبَ من الأستاذ الكبير علي الطنطاوي كتابة تقديم لهذا الكتاب، استجاب للطلب وبدأ المقدمة بقوله: "تقول العامة عندنا في الشام "المكتوب يعرف من عنوانه"، لقد هزني عنوان كتابك قبل أن أفتح الكتاب (*الطريق إلى المدينة*)، لقد أحسست أنه أعادني ثلاثا وثلاثين مرحلة في طريق العمر، لقد ردني إلى الوراء ثلث قرن كامل، فرأيتني وأنا في البادية، بادية الحجاز، وقد مرت علي وعلى صحبي فيها خمسون عاما، تلتظى من فوقنا شمسها وتتضرم من تحتها رمالها، ترفعنا أكمة لتتلفقنا قفرة، يحرقنا العطش ويروعنا الضلال، وقد تجمعت آمالنا كلها وأمانينا في أمل واحد، أمنية مفردة، هي أن نرى المدينة.[1]

واعترف الأستاذ علي الطنطاوي بقيمة هذا الكتاب قائلا: "لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي ولكن لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن *"الطريق إلى المدينة"* أحسست بالشوق يعود فيعتلج بنفسي، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطياه بالغبار، فأزاح كتابك".[2]

قصص النبيين للأطفال (الجزء الخامس)

لم يهتم العلماء المسلمون في الهند بالتصنيف على المواضيع الإسلامية فحسب، بل أظهروا اهتماما بتصنيف الكتب في أدب الاطفال أيضا، وبالفعل أحرزت الهند نجاحا لابأس به في حقل أدب الأطفال. والفضل يرجع فيه إلى سماحة العلامة الندوي الذي قام

---

[1]. مقدمة كتاب "الطريق إلى المدينة" للسيد أبي الحسن علي الندوي، دار القلم بيروت، الطبعة الرابعة (1980)، ص 7

[2]. المصدر السابق، ص 10

بتصنيف كتب حاملة للتصور الإسلامي، وملائمة لطبيعة الأطفال ومستواهم العقلي.[1] وهذا كتاب أخير من سلسلة *قصص النبيين للأطفال*، يحتوي على سيرة محمد صلى الله عليه وسلم. وأما مجموعة قصص النبيين (الجزء الأول والثاني والثالث والرابع) فتشتمل على قصص الأنبياء والمرسلين من سيدنا إبراهيم وإسمعيل ويعقوب ويوسف ونوح وهود وثمود وصالح وموسى وشعيب وداؤد وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم الصلاة والسلام. وهذا الجزء الخامس والأخير يشتمل على السيرة النبوية ولبابها، وروائع حكاياتها وأخبارها، وتاريخ الدعوة الإسلامية الأولى وفتوحها وانتصاراتها، وعجائب التربية النبوية ومعجزاتها. ويتحدث المصنف نفسه عن أهمية هذا الكتاب، فهويقول: "أصبح الكتاب مدرسة كاملة ينشأ فيها الطالب بين إيمان وحنان، ويتقلب بين روح وريحان، ويخرج منها وقد حمل معه الزاد الذي يسايره في حياته، والنور الذي يسير في ضوئه، والسلاح الذي يدافع به عن نفسه وإيمانه، والرسالة التي يحملها للعالم والأمم".[2]

وأما الهدف من هذا الكتاب هو إمداد الشبيبة المسلمة بما تطمح إليه من غذاء روحي وعقلي، يرضى العواطف والمشاعر ويهذب الأخلاق والطبائع، ويقوم بتمكين قواعد اللغة العربية في صدور الشبيبة حتى تكون وثيقة الصلة بلغة القرآن الكريم ولغة الحديث الشريف ولغة التاريخ الإسلامي في أغلب نواحيه.[3] قد اعتمد المؤلف في تأليف هذا الكتاب على أهم وأصح الكتب في السيرة النبوية مثل سيرة ابن هشام كما هويشير إليه في مقدمة كتابه، فهويقول: "وقد اعتمدت في تأليف هذا الكتاب على تلخيص السيرة النبوية لابن

---

[1]. ألف العلامة الندوي سلسلة قيمة لأدب الأطفال مثل "قصص النبيين في خمسة أجزاء"، و"القرأة الراشدة "، و"قصص من التاريخ الإسلامي"، و"مختارات من أدب العرب". وكتاب "القرأة الراشدة"، هوكتاب مهم آخر في أدب الأطفال، يشتمل على ثلاثة أجزاء. ومحتوايات هذا الكتاب تتعلق بالتاريخ الهندي، وتكلم المؤلف فيه عن الآثار التاريخية المسلمة في الهند وكما تحدث عن الحياة الإسلامية والآداب المحمدية. وكذلك أعد الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي "القرأة الواضحة"، وصنف الدكتورمحمد لقمان السلفي "السلسلة الذهبية للقرأة العربية"، وهكذا قام العلماء الهنود بمساهمة كبيرة في تنمية أدب الأطفال وتطويره.

[2]. السيد أبوالحسن علي الندوي، قصص النبيين للأطفال (الجزء الخامس)، مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ، 2010، ص 5

[3].الدكتور أنيس الرحمن الدهلوي، دراسة في كتاب قصص النبيين للأطفال، مجلة ثقافة الهند، المجلد 52، العدد 4، 2001، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، ص 348

هشام–الذي هو من أقدم كتب السيرة الموجودة الآن مطبوعة متداولة وأكثرها تأثيرا في النفوس والقلوب– مستندا في ذلك إلى بعض المراجع القديمة وكتب الصحاح– ولم ير المؤلف ضرورة إحالة القارئ إلى هذه المراجع بقيد الصفحات والطبعات، لأن الكتاب قد ألف للصغار الناهضين لا للباحثين والمحققين– مقتصرا على النصوص والروايات، لم أمزجها بالبحوث العلمية والتعليلات الفلسفية والشهادات الأجنبية، لأن ذلك يشغل القارئ عن التشبع بروح السيرة والتذوق بجمالها.[1]

وقد نال هذا الكتاب قبولا واسعا بين أوساط العلم والأدب، وأصبح أكثر نفعا مما قدمه المؤلفون الآخرون في الهند من الكتب العربية الهادفة إلى تعليم الصغار اللغة العربية من خلال القصص والفكاهات الممتعة والشيقة، وهكذا أصبح جزءا لا يتجزأ عن المقررات الدراسية في المدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية. وتكمن أهمية هذا الكتاب في تثقيف الأطفال المسلمين ثقافة إسلامية كما يشير إلى ذلك الدكتور الفاضل أحمد الشرباصي (1980م–1918م)[2] في مقدمة الكتاب: " لا شك أن تتابع هذه المجموعات (*مجموعة قصص النبيين*) من أخينا أبي الحسن سيؤلف ركنا كبيرا من مكتبة الأطفال المسلمين في الهند مما سيكون له أكبر الأثر في تثقيفهم ثقافة إسلامية عربية، تجعلهم أهلا للنهوض بواجباتهم في حياتهم على الوجه القويم والأسلوب الحكيم".[3]

ومن أجل تيسير فهم القصص الدينية على الأطفال وتحبيبها إلى نفوسهم اختار المؤلف في هذا الكتاب أسلوبا سهلا وأنيقا وخاليا عن التعقيد اللفظي والمعنوي. وكتب بأسلوب قرآني بليغ في سهولة الكلمات وتكرارها وترابط الموضوعات ونظمها حتى لا يلتبس الأمر للأطفال. كما يشير إليه الدكتور أنيس الرحمن الدهلوي في قوله: "إن كل كتاباته في الحقيقة، نموذج من الأدب الفني الرائع ومتميز بسلاسة العبارة ولطافة التعبير، فالشيخ

---

1. السيد أبوالحسن علي الندوي، قصص النبيين للأطفال (الجزء الخامس)، مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ، 2010، ص 4

2. كان العلامة أحمد الشرباصي مدرسا بالأزهر الشريف بالقاهرة الذي ألف أكثر من عشرين كتاباً في مباحث الدين والتاريخ والأدب والإجتماع، وكان مبعوثاً علمياً للأزهر الشريف في الكويت، ثم أسندت إليه أمانة الفتوى في الأزهر.

3. الدكتور أنيس الرحمن الدهلوي، دراسة في كتاب قصص النبيين للأطفال، مجلة ثقافة الهند، المجلد 52، العدد 4، 2001، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيودلهي، ص346

أبوالحسن الندوي رحمه الله عندما يكتب، يكتب ارتجالا بالعربية الخاصة ويتدفق كالسيل بلغة عربية بليغة فيها الصور البيانية والتعبير الجميل".[1] ومن أهم مزايا كتابات العلامة الندوي للأطفال أنها لا تعلم الأطفال اللغة والأدب فحسب، بل تعلم الأطفال مبادئ التعليم الإسلامية والمفاهيم الدينية والسلوكيات الرفيعة أيضا. ويقول الأستاذ الفاضل السيد قطب رحمه الله في تقديم الكتاب: ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال–بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام– وشاركت في تأليف مجموعة "القصص الديني للأطفال" في مصر مأخوذا كذلك من القرآن الكريم. ولكنني أشهد في غير مجاملة، أن عمل السيد أبي الحسن الندوي جاء أكمل من هذا كله.[2]

ولم يكتف العلامة الندوي على هذه الكتب المذكورة أعلاه، بل قام بتصنيف الكتب الأخرى المتصلة بالسيرة النبوية التي تهدف إلى تقديم أهمية النبوة والأنبياء في حياة المجتمع البشري، مثل كتاب *"النبوة والأنبياء"* ، حيث بين فيه فضل الأنبياء ومنتهم على الإنسانية وإعادة الثقة والإيمان بالرسالة المحمدية وحل المشكلات الاجتماعية والبشرية الراهنة في ضوء تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا صنف العلامة الندوي كتابا آخر بعنوان *"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"* في أسلوب علمي رصين، ذاع صيته في البلدان العربية والإسلامية بفضل محتوياته الفكرية والدعوية. تحدث فيه عن رسالة الإسلام ودور البعثة المحمدية في إنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. وله كثير من المقالات والأبحاث القيمة التي تتعلق بمختلف جوانب السيرة النبوية.

خلاصة القول

لا شك فيه أن العلماء الهنود قدموا خدمات جليلة في مختلف فروع العلوم الإسلامية، وقاموا بتأليف كتب قيمة جدا في مجال السيرة النبوية، واهتموا بها اهتماما بالغا من منطلق ارتباطها بالذات التي هي أغلى وأثمن وأحب من نفوسهم وأرواحهم. والترجمة

[1]. المصدر السابق، ص 346

[2]. مقدمة كتاب "قصص النبيين للأطفال" (الجزء الثالث)، مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ، 2008، ص12

الأردية لسيرة ابن هشام خير دليل على اهتمامهم بهذا الموضوع. ثم إنهم لم يكتفوا بترجمة الكتب في السيرة النبوية بل أنتجوا كمية هائلة من المؤلفات باللغة الأردية والعربية واللغات الهندية الأخرى نظما ونثرا. والجدير بالذكر أن جزءا كبيرا من هذا الإنتاج يتمثل في اللغة الأردية لكونها لغة المسلمين في الهند بشكل عام مثل كتاب *"رحمة للعالمين"* للقاضي سليمان المنصوربوري و*"سيرة النبي"* للعلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي وما إلى ذلك.

يرجع الفضل إلى العلامة الندوي في جعل موضوع السيرة النبوية في طليعة المواضيع الإسلامية في القرن العشرين. فإن مؤلفاته مثل "السيرة النبوية" والطريق إلى المدينة" و"سلسلة من القصص النبيين" خير دليل على هذا، كما أنها تعبير عن حبه العميق للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وسعيه الخالص لتبليغ الرسالة المحمدية إلى البشرية جمعاء. إنه قدم كل جوانب حياة النبي صلى الله عليه وسلم بشكل رشيق في كتابه "السيرة النبوية"، اعتمادا على مصادر السيرة الأولى من كتب السيرة والحديث، وتطابق بين مفردات السيرة وبين ما جاء في القرآن والسنة. لقد قام قامت مؤلفاته القصصية حول السيرة النبوية بدور عظيم في تثقيف الأطفال المسلمين ثقافة إسلامية.، ندعوالله عز وجل أن يجزي المؤلف جزاء حسنا على ما أسداه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين.